التعليم المختلط

للدكتور سمل هيوك
عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة الاميركية

موضوع التعليم المختلط من افضل الموضوعات لمناظرات العامة . ان سعة نطاقه وكثرة ما يمكن ان يقال فيه تأييداً لوجهيه ، تجعلانه كذلك . حتى في بلدان الغرب ، حيث احرزت النساء أعظم انتصاراتهن ، لا يزال موضوع التعليم المختلط ، مثاراً للجدل والنقاش . وفي الولايات المتحدة الاميركية التي فاقت غيرها من الأمم في الاخذ بهذا النظام ، ما زلنا نرى جماعات كبيرة ، تسلم بمساواة النساء للرجال مساواة كاملة ، ولكنها مع ذلك لا تزال متمسكة بوجوب تعليم الجنسين كل على حدة

ويمكن ان يقال بوجه عام ان التعليم المختلط في الغرب ، بلغ اوسعه نطاقاً في البلدان الشمالية او الانجلوسكسونية ، وأضيقه نطاقاً في بلدان الجنوب او البلدان اللاتينية . ولعل للاقليم اثراً في انتشار التعليم المختلط . حتى في البلدان الانجلوسكسونية ، لم تأخذ انكلترا بالتعليم المختلط في مرحلة التعليم الثانوي ، مدى ما اخذت به الولايات المتحدة الاميركية . اما ايطاليا وفرنسا فغير راضيتين عنه . واما روسيا ففي غمار نظام تعليمي جديد وقد جعلت التعليم مختلطاً في جميع مراتبه

ان في وسع الباحث ان يخرج من تجريب الغرب لهذا الضرب من التعليم بحقائق وقواعد ، قد تكون اذاعتها مجدية في معالجة هذه المشكلة التي تعنى بها مصر الآن

اعدت المرأة من فجر التاريخ الانساني ، لتكون والدة الجنس . فكان لهذه المهمة التي القيت اليها ، اثراً لا مفر منه في حياتها . فقد كانت مرتبطة ببيتها وجهرته المباشرة حالة ان الرجل وقع عليه عبء الصيد والقنص والكفاح لتدبير القوت وحفظ الكيان . وبارتقاء الاجتماع الانساني ، زادت مهامها داخل البيت ، كاعداد الطعام واللباس علاوة على حمل الاطفال وتربيتهم . وكذلك حددت وظيفة المرأة البيولوجية نوع عملها في البيت . ولكن كر الاعوام والقرون ، وتأصل العادة والتقليد ، اسبغا على عمل المرأة هذا ، سمة القانون المنزل ، بدلا من ان يحسب نتيجة للاحوال الاجتماعية التي نشأ فيها ومنها . وقد روي عن زوج

يونانيّ في ايام ستراط التوله الثاني وجهه الى زوجته : ان الآلهة قد سوت طبيعة المرأة بحيث تقوم بعملها وتنهض بقبعاتها داخل البيت وسوت طبيعة الرجل ليقوم بعمله وينهض بقبعاته خارجه

فليس بالمستغرب اذاً ان يهمل تعليم الفتيات . حتى بعد ان نظم تعليم الصبيان في المجتمع بل كان من الطبيعي ان يظن ان الفتاة في الاجتماع البشري البدائي ستتعلم كل ما هي في حاجة اليه ، وهي في دارها

فمن الناحية التاريخية ، نظم نصيب الدولة في شؤون التعليم لاجل الصبيان اولا . اما تنظيم نصيب الدولة في تعليم البنات ، فقد جاء متأخراً ، بعد ان نال زمناً من شأن البيت والكنيسة . فكان النتيجة ، ان انشئت اولا مدارس وكليات للصبيان والشبان فقط . ففي الولايات المتحدة الاميركية ظل تعليم البنات في بعض المدارس ، غير مسلم به ، حتى العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر . وفي المانيا لم يسمح لهن بالانتظام في الجامعات حتى سنة ١٨٩٥ وعندئذ اذن لهن في سماع المحاضرات فقط اذا سمح بذلك الاساتذة . ولم تنشأ كليات للبنات في جامعة كيمبردج الا سنة ١٨٧٢ وظلت جامعة اكسفرد تأبى منح الرتب العلمية لهن حتى سنة ١٩٢٠

فلما اعترف للبنات في بعض البلدان ، بأنه يحق لهن ان ينلن نصيباً من التعليم الذي تهيمن عليه الحكومة ، ظهر ان المعاهد الوحيدة القائمة هي معاهد لتعليم الصبيان والشبان ، فكانت المطالبة باتاحة فرص التعليم للبنت ، وكانها مطالبة بالتعليم المختلط . فما ان تنتظم الفتاة في احدى مدارس الذكور واما ان تسد في وجهها سبل التعليم . وكانت نتيجة المطالبة ، بتعليم الفتاة ، ان قيدت كثيرات ، انتظمن في النظام المدرسي الحكومي ، في مراتبه المختلفة

والادوار التي اجتازتها مشكلة تعليم الفتاة في الغرب ، تجتازها مشكلة تعليم الفتاة المصرية الآن

ولما كانت معظم البلدان التي أخذت بجانب من التعليم المختلط ، او به كاملا ، قد فصل بين الدين والدولة ، في النظم السياسية ، فالتعليم المختلط في هذه البلدان ليس خاضعاً بوجه من الوجوه ، لمقتضيات التعاليم الدينية ونواهيها . فليس في أوربا او اميركا ، مرب واحد يحاول ان يقيم الحجة ، على وجوب فصل الاناث عن الذكور في التعليم ، لان النواهي الدينية تقضي بذلك . ولكن يقابل هذا ان فريقاً من المربين في الغرب ، يعترض على التعليم المختلط ويقيم أدلته على ما يلاقيه من المصاعب الادارية والعملية . ويواجه هؤلاء فريق آخر يؤيد نظم التعليم المختلط لما يجني منه من الفوائد الاجتماعية والاقتصادية

ليس ثمة ريب في ان الولايات المتحدة الاميركية ، أكثر الامم أخذاً بنظام التعليم المختلط . فالاميركيون يؤمنون به كل الايمان ، ولذلك تجدهم اخذوا به في جميع مراتب التعليم الاولي والابتدائي والثانوي والعالي ما عدا تعليم الحرف والصناعات والفنون . ومع ذلك لا تزال بعض الجامعات الاميركية العظيمة ، كجامعات ييل وهارفرد وبرنستن مقتصرة على الشبان فقط ، حالة ان طائفة من أهم الكليات الاميركية ككليات فسار وبرن مور وسمث مقتصرة على الشابات فقط . الا ان جميع جامعات الدولة ، في الولايات الثاني والاربعين اخذت بنظام التعليم المختلط ما عدا واحدة منها

وفي مقدمة الادلة التي يوردها المعترضون على التعليم المختلط في اميركا (١) ان تعليم البنات والشبان معاً يجعل من المتعذر على القائمين بشؤون التعليم ، ان يفرقوا تفريقاً طبيعياً بين دروس الجنسين ، وفقاً لاستعداد كل منهما وحاجاته . فهذا الدليل قائم على ان التعليم ليس مجرد تدريب عقلي يصلح للفتيان كما يصلح للفتيات بقدر واحد ، ولكن التعليم في نظرهم اعداد الافراد لما يلزم لهم من الآراء ووجوه التمرين والدربة للقيام بما يطلب منهم في المجتمع . فهذا الرأي يفرض ان ما تحتاج اليه الفتيات من الناحية الاجتماعية ، غير ما يحتاج اليه الفتيان . (٢) ويقول المعترضون في اميركا على التعليم المختلط ان الجنسين يجب ان يفصلا في دور المراهقة حتى يستطيع كل جنس ان ينمي على حدة الصفات التي يتميز بها والتي ركبها الطبيعة فيه . فالتعليم المختلط في مرتبة التعليم الثانوي قد يحول بوجه عام دون اكتمال الخصائص الانثوية في الفتاة وصفات الرجولة في الشاب . ولما كانت الفتيات اسرع الى البلوغ من الصبيان فمن الواضح ان الصبيان في اميركا لا يرغبون ان يتنافسوا البنات في مرتبة التعليم الثانوي ، لان البنات يفقدهم نشاطاً عقلياً وثقة بالنفس . ومما يزيد في هذا الشعور ان البحث الاستقرائي اثبت بعض الشيء ان البنات في هذه المرحلة من مراحل التعليم ، يقبلن على اعمالهن المدرسية بهمة تفوق همة الصبيان ، ولعل ذلك ناشيء عن رغبتهن في اثبات جدارتهن بمساواة الجنسين ، فيبذلن من الجهد في دروسهن ما يجعل الامتياز المدرسي معقوداً بلوائهن على الغالب . وهذا بحكم الطبع يعزز في الصبيان شعورهم بتفوق البنات عليهم وقد يفضي الى تأثير نفسي يصعب استئصاله في ما بعد

اما حجج المؤيدين للتعليم المختلط في أميركا ، فأهمها (أولا) ان التعليم المختلط في جميع مراحله — الا في المدن الكبيرة — أدعى الى الوفر والاقتصاد . (ثانياً) من شأنه بث الروح الديمقراطية والمساواة بين الجنسين (ثالثاً) انه يعزز روح المنافسة الشريفة والتعاون بين الجنسين ، وهي روح لا بد من تعزيزها لمواجهة مشكلات الحياة بعد عهد الدراسة . (رابعاً) انه يمد في رتق الاوهام التي تحيط علاقة الجنسين احدهما بالآخر ، وتقيم هذه العلاقة على اساس خال من الكلفة وهو ما تقتضيه احوال المجتمع الحديث في الاعمال والحياة الاجتماعية . هذا ما يمكن ان يقال بوجه عام عن آراء المؤيدين للتعليم المختلط والمعارضين فيه

ولكن التعليم المختلط في معاهد التعليم العالي ، لا يحتمل جدلا في نظر الفريقين . ذلك انه من المتعذر انشاء جامعات خاصة بالشبان واخرى خاصة بالشابات ، لان نفقة انشاء الجامعة والانفاق على اعدادها وجمع طائفة من الاساتذة الممتازين ليس بالعمل السهل ، علاوة على كثرة نفقاته . فقد جاء في دائرة معارف التربية ما يلي : «اما في ما يتعلق بالتعليم الجامعي ، فمن الواضح ان ابواب المعاهد العالية تفتح للنساء عند ما تشتد مطالبتهن بذلك لأن التعليم المختلط هو السبيل الوحيد لاتاحة هذه الفرص للنساء . ان نفقات التعليم الجامعي تجعل انشاء جامعات خاصة بالنساء امراً متعذراً تقريباً»